الدعوة إلى الله

توجيهات وضوابط

تأليف

د. عبد الله الخاطر

«رحمه الله»

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ

ريع هذا الكتاب

سوف يصرف في المشاريع الخيرية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستهديه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد: أيها الإخوة الكرام، فإن هذه السطور في محورها حول الدعوة إلى الله في إطار الضوابط والمنهج. وهي حديث إلى كل من أقبل على ربه ورجع إليه، وعرف أنه لا ملجأ منه ولا منجا إلا إليه، ولا سيما الشباب الذين أدركوا أن الواقع الذي نعيشه اليوم إنما هو نتيجة ركام من التخلف والركود الذي عاشته الأمة الإسلامية خلال قرون وبدأت الآن

تستيقظ من سباتها.

هذا الشباب الذي عرف الأفكار الموجودة على الساحة بخيرها وشرها، وأدرك أنه لا بد من الرجوع إلى هذا الدين وسيلة للنجاة في الآخرة ووسيلة للعزة والكرامة في الحياة الدنيا. هذا الشباب الذي عرف أن هذا الدين هو دين كامل شامل يشمل كل جوانب الحياة، هذا الشباب الذي أدرك أن مفهوم العبادة ليس شعائر تعبدية من صلاة وزكاة وحج فحسب، وإنما هو مفهوم يشمل حياة الإنسان كلها.

حمل الأمانة

لا بد من تحمل الأمانة وتبليغ الرسالة، تلك الرسالة التي نحملها إلى الذين يتسمون باسم الإسلام وهم بعيدون عنه، ولم يعرفوا من الدين إلا اسمه ورسمه ونحملها إلى الذين لم تصلهم دعوة الإسلام بصورته النقية الصافية. لا بد من البعد عن السلبية التي يعيشها المسلمون، الآن لا بد أن نوضح الحق للناس ونحمل الرسالة؛ وبحمل هذه الرسالة نتشرف بالانتماء إلى خير أمة كما قال الله - تعالى -: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فإذا لم نأمر بالمعروف وننهَ عن المنكر فلا يكون لنا مثل هذا الشرف ولا تنطبق علينا هذه الصفة، وبحمل هذه الرسالة نُعذر أمام الله يوم القيامة إذا

نحن أخلصنا النية، إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يذكر في إحدى الآيات أن الناس على ثلاثة أقسام: صالح، ومصلح، وفاسد، فيبين ويقرر بأن الإعذار يوم القيامة يكون بدعوة الفاسدين وبالإنكار عليهم، وبأمرهم بالمعروف؛ يقول الله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فالدعوة إلى الله ذات مقصدين:

المقصد الأول: عذر الداعي: أن نُعذَر أمام الله يوم القيامة.

المقصد الثاني: عودة الناس إلى ربهم، وأن ينيبوا إليه ويبلغوا رسالته.

وبحمل هذه الرسالة ـ أيها الإخوة ـ ننجو في الحياة الدنيا ويصلح مجتمعنا. إن الرسول ﷺ قد بين في أحد الأحاديث التي رواها البخاري أن الناس

على قسمين: منهم صالح، ومنهم فاسد وهم كقوم تقاسموا سفينة فكان بعضهم في أعلى السفينة، وبعضهم في أسفل، فالذين في أسفل السفينة أرادوا أن يأخذوا من ماء البحر فخرجوا إلى سطحها وغرفوا من ماء البحر، فظنوا بظنهم البشري المحدود أنهم يفعلون خيراً إذا هم خرقوا في السفينة خرقًا في أسفلها ليحصلوا على الماء مباشرةً حتى لا يؤذوا الذين من فوقهم، فإن تركهم الذين في أعلى السفينة فإن السفينة تغرق، وإن أنكروا عليهم وأخذوا على أيديهم فإن السفينة تنجو؛ وذلك مثل الأخذ على يد الظالم والفاسق.

يقول الرسول ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة؛ فكان بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من

فوقنا؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً» [رواه البخاري]..

هذا الحديث يوضح بأن حمل هذه الأمانة، وتبليغ هذه الرسالة، وأمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر فيه صلاح المجتمع الذي هو مثل السفينة في هذا الحديث، وبحمل هذه الرسالة نبلِّغ ما نزل إلينا من ربنا، ونحقق البلاغ المطلوب الذي أُمرنا به، وأُمر الرسل به من قبلنا، يقول الله ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧]. ونحن إن لم نبلغ هذا الوحي وهذا الكتاب وهذه السنة فما بلغنا رسالة الله. وبحمل هذه الرسالة - أيها الإخوة - نكون من أنصار الله الذين يقبلون عليه وعلى وحيه ولا يتولون عنه؛ فينطبق عليهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾. [محمد: ٣٨]

وبحمل هذه الرسالة ـ أيها الإخوة ـ نحقق صفة الطموح العالي الذي يمتدحه الله ـ تعالى ـ في المؤمنين حيث يصفهم بأنهم يدعون الله بأن يكونوا قدوات صالحة للأتقياء من المؤمنين. يقول الله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ [الفرقان: ٧٤].

أي إنهم يقولون: يا الله: اجعلنا قدوات للأتقياء من المؤمنين. انظروا إلى هذا الطموح العالي... لا نريد أن نكون قدوة للفاسدين الضالين فحسب، ولا للصالحين فحسب إنما قدوة للأتقياء من المؤمنين وبحمل هذه الرسالة ـ أيها الإخوة ـ نقتدي برسول الله ﷺ الذي كان يحمل همَّ هذا الدين وهمَّ إيصاله إلى الآخرين طوال وقته؛ فالدين كان يسري في مشاعره ودمه وفي حياته كلها، كان ﷺ يهتم كثيراً إذا لم يستجب الناس للدعوة، حتى وصل الأمر إلى أن يطمئنه الله ــ تعالى ــ ويقول له: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ**

عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

[الكهف : ٦]

أي فلعلك مهلك نفسك من الأسف عليهم إن لم يستجيبوا لك .

❊ ❊ ❊

عظيم الأجر

لعلنا بعد أن تعرضنا إلى أهمية حمل الدعوة أن نشير إلى عظيم أجر الداعي إلى الله وكبير مثوبته في الآخرة، الداعي إلى الله يحصل على أجر عظيم يجد نتيجته في الآخرة يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئًا».

إنه أجر عظيم ـ أيها الإخوة ـ عندما نتفكر فيه. إنك إذا دللت إنسانًا على خير معين فإنك تحصِّل مثل أجره؛ سواء دللته على الصلاة فصلى، أو نصحته بالصيام فصام، أو نصحته بالزكاة فزكى، أو نصحته بقراءة القرآن وبالذكر والدعاء ففعل؛ فلك مثل أجر

ما يفعله، إنه أجر عظيم ـ أيها الإخوة ـ؛ ولو كنا نتذكر هذا الأجر دائمًا لما فرطنا فيه لحظة واحدة. ويقول الرسول ﷺ لأحد الصحابة: «فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم» متفق عليه.

أما في الحياة الدنيا فهناك نتائج كثيرة لمن يحمل هذا الدين: ـ

من فوائد الدعوة:

أولاً: أن الداعي إلى الله يحصل على الطمأنينة القلبية؛ لأنه يؤدي بعض الواجب على الأقل، فالذي لا يؤدي هذا الواجب تجده يلوم نفسه وهو غير مطمئن البال وإن بدا في ظاهره شيء من الاطمئنان؛ لأن الموقف السلبي محزن ومؤثر جدًا، وذلك مثل أثر التعطُّل عن العمل الدنيوي يأتي بالأمراض النفسية لأولئك المتعطلين، والدراسات الحديثة في الطب النفسي تؤيد ذلك؛ فالعاطلون عن العمل وإن كانوا

يحصلون على الدخل المادي نفسه مثلهم في ذلك مثل أولئك الذين يعملون؛ إلا أنهم يعانون من أمراض نفسية كثيرة غير ما يعانيه الذين يعملون؛ فالذي يعمل يؤدي واجبه، ويحقق غاية في نفسه ورغبة فطرية في ذاته.

أما النتيجة الثانية: فإن الداعي إلى الله يتعلم من الآخرين.. يتعلم من المدعوين؛ حيث يسألونه ويجيب، يجيب عما يعلم ويبحث عما لا يعلم؛ والمثال واضح على ذلك: فالعالم الداعي إلى الله يزداد علمه؛ بينما القاعد في زاوية من زوايا بيته لا يفتح صدره لطلبة العلم ولا للناس يضعف علمه وينسى كثيراً. فالعالم الداعي ـ وهناك أمثلة حية ـ تجده عندما يقبل موسم رمضان يدرس أحكام رمضان بالتفصيل، وعندما يأتي موسم الحج يدرس أحكام الحج بالتفصيل؛ وبذلك يزداد علمه يوماً بعد يوم.

والنتيجة الثالثة: هي أن الداعي إلى الله يتمثل

صفات المدعوين التي تنقصه، وليس من الضروري أن يكون الداعي إلى الله أفضل من المدعوين في كل صغيرة وكبيرة؛ ولكن يجب أن يتمثل الداعي ما يدعو إليه لكي يكون ذلك أعون على إجابة دعوته، والاقتناع بما يدعو إليه من قبل المدعوين.

والنتيجة الرابعة: أن الدعوة إلى الله تحرك الإيمان وتزيده، وتزيد الإنسان هدىً إلى هداه؛ انظروا إلى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى** ﴾ [محمد: ١٧] ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف: ١٣].

والنتيجة الخامسة: أن الدعوة إلى الله تجعلك تحت المجهر البشري، فتُلاحَظ في كل تصرفاتك كبيرها وصغيرها، فينظر إليك النقاد والحساد ويقدمون لك النقد والتجريح، ويتقدم إليك الأحباب والأصحاب بالنصح والتوجيه، فاقبل النصح، واستمع إلى النقد والتجريح، وتعلَّم مما

تسمع ولا تهمله.

وأما النتيجة السادسة: فإن الداعي إلى الله عندما يتعامل مع الناس فإنه يتربى على صفات جديدة لا يمكن أن يتربى عليها أو يكتسبها بمفرده؛ فمثلاً ضبط النفس لا يكون إلا مع التعامل مع الآخرين، وكذلك الحميَّة، والأخوة، والهداية، وقبول النصح، والاهتمام بالغير، وغير ذلك... كل هذه الصفات لا يتعلمها الإنسان وحده وإنما لا بد أن يتعامل مع الناس ويعلمهم؛ فيتربى من خلال التعامل معهم.

والدراسات الحديثة في الطب النفسي تنحو إلى علاج بعض الناس بالعلاج الجماعي؛ حيث يجتمع حوالي عشرة أشخاص فيتعلمون من بعضهم، ويكتسبون صفات جديدة، وينظر بعضهم إلى أخلاق بعض، ويعرف بعضهم نفسيته من خلال تصرف الآخرين معه والمسلمون بالدعوة إلى الله

والتعامل مع الناس يمارسون سببًا مهمًا في الوقاية من الأمراض النفسية التي يعاني منها أولئك المنعزلون ... تلك بعض الفوائد التي يستفيد منها الداعي إلى الله من خلال تعامله مع الناس.

* * *

ركيزتان

وللدعوة إلى الله أسلوب ذي ملامح أريد أن أذكر بشيء من التفصيل ركيزتين مهمتين له، وهما:

الركيزة الأولى: الدفع بالتي هي أحسن: لأنك إذا دفعت الذي أساء إليك بالتي هي أحسن فإنه ينقلب إلى صديق عزيز عليك ولو كان من أعدى أعدائك يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾.

[فصلت: ٣٤، ٣٥]

الركيزة الثانية: هي اختيار الزمان والمكان المناسب.. واختيار الأسلوب المناسب؛ وهناك بعض

الأدلة عن بعض الصحابة توضح ذلك، يقول عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ينصح آخر: «لا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم؛ ولكن أنصت؛ فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهون» [رواه البخاري].

الداعية واعظ في كل مكان، والدعوة أشمل من الموعظة، والموعظة جزء من الدعوة؛ فعلى الداعية أن يختار الوقت المناسب لإعطاء كلمته عندما يصغي إليه الناس ويستمعون، فعن شقيق قال: كان عبد الله ابن مسعود يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوددت أنك ذكرتنا في كل يوم حديثاً طيباً - يريد أن يحدثهم في كل يوم، وهذا من فرط حماسه - قال عبد الله بن مسعود: «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملَّكم، وإني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا». [رواه البخاري]

والرسول ﷺ كان يختار أوقاتًا يتخولهم فيها بالموعظة بأن يتخير فرصًا معينة ليعظ؛ فما كان الرسول ﷺ يعظ طوال وقته وهو أعظم واعظ وأكبر مؤثر وأفضل داعية، والصحابة أفضل المستمعين، لقد كان الناس يحبون أن يستمعوا إلى رسول الله ﷺ في كل يوم ومع ذلك كان يتخولهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم.

* * *

من صفات الداعية المربي

الداعية المربي: هو الذي يتفاعل مع الناس عن قرب ومن خلال منهج وبرنامج مرتب، وهناك فرق كبير بين الداعية المربي وبين الواعظ أو المفتي أو العالم الذي يلقي درساً أو محاضرة. وهناك صفات يجب أن تتوفر في الداعية المربي، ومنها:

١ـ لا بد أن يكون هناك فارق وتميز بين المتلقي والمربي يحسه المتلقي، وهذا الفارق قد يكون في تفوق روحي أو تفوق عقلي أو فقهي أو أخلاقي أو حتى جسمي أحيانًا؛ فجسم الإنسان له دور، وخاصة إذا كان صاحب تجارب تشعرك أنك تتلقى منه، وقد يستغرب الناس هذا؛ إلا أن للجسم دوراً في ذلك. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ**

وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وللجسم دور في أوقات؛ ولكن ليس من الصحيح على كل حال: أن صاحب الجسم الكبير لا يتلقى ممن هو أصغر منه جسماً؛ لكن لا بد أن يكون عند صاحب الجسم الصغير قضايا تؤهله لأن يُتَلَقَّى منه؛ فقد يكون عند هذا الصغير جسمًا تفوُّق روحي وعقلي وعلمي، وعنده شيء يجعل الإنسان يتربى على يديه.

هذه القضية تلاحظ في تربية الأبناء، والآباء يجدون الأمر سهلاً في تربية أبنائهم في فترة الطفولة؛ لأن الطفل الصغير يشعر أن أباه أكبر منه في خبراته وجسمه وعقله وأشياء كثيرة عنده، إلى أن يكبر الشاب فيبلغ، فيجد بعض الآباء صعوبة في تربية أبنائهم ـ خاصة الآباء الذين لا يجدون عندهم تفوق معنوي على أبنائهم، فقد يكون الأبناء أقوى عقلية؛ فتجد الأب الأقل ثقافة لا يستطيع أن يربي ابنه الرجل، لا يستطيع أن يربيه تربية جيدة، ويجد

الأب صعوبة في ذلك الوقت، فليحرص أن يكون أكبر من ابنه في تلك الفترة قدرة وعلماً حتى يربيه ويوجهه، وإذا شعر بأنه في ذلك الوقت ليس أكبر منه فليعامله معاملة الرجل المتزن العاقل، فيعطيه قدره وإلا فسينفلت الزمام من يده.

٢ ـ أن يكون عند المربي ما يعطي، سواءٌ: خبرة أو تجربة أو علم لا بد أن يكون عنده ما يعطيه، وبعض الناس يريد أن يربي وليس عنده علم ولا تجارب والشاب الذي يريد أن يسير في طريق الدعوة إلى هذا الدين ويوجه ويربي غيره، لا بد أن يكون له حصيلة من العلم ويسعى دائماً لتنمية ذاته وزيادة حصيلته، ولا يقنع بالحد الأدنى.

٣ ـ ولا بد أن يكون حسن الإعطاء للناس؛ فيكون رفيقًا في طريقة العرض، دقيقاً في اختيار الزمان والمكان. هناك علماء كثيرون عندهم علم غزير ولكنهم لا يعرفون كيف يصلون بعلمهم إلى

الناس؛ إنهم لا يحسنون العرض، ولا يحسنون الدخول إلى نفوس الناس، إذا سُئلَ أحدهم، وبَّخ السائل ولم يجبه؛ مما ينفر الناس، ويصرفهم عنهم، ومنهم من لا يتخير الوقت المناسب ولا المكان المناسب.

٤ ـ ولا بد أن تكون عنده صفة الاهتمام بالآخرين، ولديه القدرة على القيام بذلك، وأن يكون حسن الإعطاء متابعاً راعياً لمن يعطيهم، يستحدث أساليب ويبتكر طرائق ويصبر على المتابعة ويتقرب إليهم، فيسألهم عن أحوالهم، ويتعرف على أسماء من يدعوهم، ويوثق معهم الصلات. انظروا إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: كان من اهتمامه إذا جاء القوم ليسمعوا من الرسول ﷺ أن يسألهم: ممن القوم؟ فيقولون: من قبيلة كذا... أأنتم من فخذ كذا؟ أم من فخذ كذا؟ فإذا قالوا: من فخذ كذا؟ يقول: أأنتم من آل كذا أم من آل كذا؟ يقولون ـ

مثلاً ـ: نحن من آل كذا، فيقول: أمنكم فلان؟ فيقولون: نعم سيدنا. هذا الاهتمام بسَّط القضية؛ فقد ارتاح القوم وبدؤوا الحديث معه، يقول الرسول ﷺ ما معناه: «إذا قابلت أخاك فاسأله عن اسمه، واسم أبيه»... بعض الناس يلتقي بك فلا يعرفك ولا تعرفه، ولا يمكن أن يسألك في يوم من الأيام: ما اسمك؟ وماذا تدرس؟ ليس لديه ذلك الاهتمام ... إنه شخصية صخرية جامدة؛ وهذا لا يصلح أن يكون مربيًا؛ فالمربي لا بد أن يكون لديه المقدرة على أن يستوعب الناس ليعطيهم.

٥ ـ ولا بد أن يكون قادراً على المتابعة والتوجيه المستمر؛ فهناك أناس عندهم كل هذه الصفات لكنهم يتحمسون ثم يفترون... يقدم أحدهم درساً ثم يتوقف، يقدم محاضرة ثم يتوقف، يعمل حلقة فيتوقف، يتحمس قليلاً ثم يقف، فليس عنده استمرار، ولا بد أن يكون الداعية قادراً على متابعة

الأمور والتوجيه المستمر المتتابع.

٦ ـ وأن يكون قادراً على القيادة التي تقدر على فرض الطاعة ليس بالقوة على طريقة: «أنا أميرك؛ فاسمع». ولكن الطاعة التي تنبع من ذات المتربي؛ لأنه يحس فعلاً أن المربي إنسان يهتم به ويحرص عليه.

وبعد فهذه الصفات صفات لشخصية معينة قد لا تكون إلا في قلائل، والذي لا تكون عنده ينبغي أن يسعى لأن يتربى عليها في المستقبل. لكن المطلوب منا جميعًا أن نحمل هذا الدين بالصورة التي تناسب أوضاعنا نحن، كلاً حسب مواهبه والقدرات التي عنده، ولذلك تعترض ـ هنا ـ شبهات ومداخل للشيطان، تعترضه أشياء تجعله يحجم عن هذه الدعوة وعن حملها؛ **وهنا أذكر منها خمس نقاط من مداخل الشيطان والشبهات التي تدخل على الشباب فتدفعهم إلى أن يحجموا عن الدعوة**

وحمل هذا الدين:

شبهات على طريق الدعوة:

الشبهة الأولى: هي التسويف والتأجيل؛ فبعض الشباب يقول: عندما أتزوج، وبعضهم يقول: عندما أتخرج، وبعضهم يقول: عندما أنتهي من تجارتي... وهكذا يضع له عقبة يريد أن يتجاوزها.

فإذا تخرج قال: عندما أكمل الدراسات العليا، وإذا انتهى من الدراسات العليا قال: ـ إن شاء الله ـ عندما أعمل في وظيفتي وأستقر وأتزوج، وعند تزوجه يقول: عندما يكبر أولادنا ونربيهم وهذا أهم، وبعد ذلك يقول: البركة في أولادنا ـ إن شاء الله ـ وهكذا يستمر التأجيل حتى الموت.

وتجد هذه الحالة موجودة عند كثير من الناس، فتجد من يقول: يا أخي البركة في الشباب. فتقول: وأنت لماذا لا تحمل هذا الدين؟ فالرسول ﷺ حمله

وهو في الأربعين، بل وأخذ عمر يدعو إلى أن توفي وهو في الستين . . . .

إن هؤلاء الناس أصحاب الشخصيات الانهزامية ضعفاء يسوِّغون واقعهم بهذا التسويف والتأجيل.

ومن باب التأجيل الذي يظن بعض الناس أنه شرعي قول من يقول: عندما أتعلم العلم الشرعي وأكون على مستوى معين من العلم هناك أبدأ الدعوة!

هذا مدخل من مداخل التأجيل يظن بعض الناس أنه شرعي، وتدخل عليه هذه الفكرة من باب حسن النية فيقول: عندما أتعلم وأطلب العلم الشرعي هنا أبداً أدعو الناس. وهذا الكلام فيه شيء من الصواب، ولكن الذي يظهر من كلام هذا الإنسان أنه يقول: إن الإنسان لا يمكن أن يدعو إلا إذا حصل على مقدار معين من العلم، وهذا ليس مطلوباً من الناس جميعًا؛ فالناس مطلوب منهم أن

يبلغوا هذا الدين بما لديهم، ويسعوا إلى تحصيل ما ليس لديهم ولا يكون ذلك مسوِّغًا لمجرد التسويف، فإن تحصيل العلم أمرُه نسبي، فإن الذي تخرج من كلية الشريعة ـ مثلاً ـ قد يرى نفسه غير متمكن من العلم حتى إن صاحب الدكتوراه، قد يعتبر نفسه غير متمكن، هذا الشعور الذي ينتاب بعض الناس يجب ألا يكون، والمطلوب أن أقدم ما عندي وليس المطلوب إعطاء الفتاوى وأن أتصدَّر المجالس، بل إن هذا أمر محظور، فليس المطلوب أن يجيب الداعية على كل سؤال، وأن يفتي في كل مسألة، بل لا غضاضة عليه من أن يحوِّل من يسأله إلى أهل العلم والفتوى؛ فالدعوة يستطيع أن يقوم بها كل مسلم على أي مستوى من العلم، يقول ﷺ : «بلغوا عني ولو آية» ولكن للفتوى أهلها.

الشبهة الثانية: أن يسوِّغ الإنسان لنفسه خلوده إلى الراحة وكسله عن واجب الدعوة، بأنه أفضل من

غيره؛ فهو يؤدي الفرائض، ويطالع في كتب العلم، ويحضر مجالس الذكر، يجتنب المنكرات، ويعمل الصالحات؛ إنه أفضل من غيره، وليس من ضرورة أن ينصح فهناك من ينصح؛ ويعظ، وذلك قد نظر في أمر الدين إلى من هو دونه، وكان عليه أن ينظر إلى الدعاة العاملين الذين يجوبون الأرض، ويبذلون وقتهم في دعوة الناس يحرصون على نقل هذا الدين وينشرونه في الآفاق.

إننا يجب أن ننظر إلى الذي يبذل فعلاً ليل نهار وهمه نقل هذه الدعوة وهذا الدين اتخذ منه مثلاً واقتد به في بذله في هذا الجانب، خذ هذا الجانب فقط في هذا البذل. وكثير من الناس يبذلون بذلاً عجيباً جداً، فلماذا لا نبذل نحن؟ ولماذا لا نقتدي بهؤلاء الناس في بذلهم؟ انظروا إلى أعداء الله، انظروا إلى أصحاب الأفكار الهدامة يتحملون السجون، يتحملون المصاعب، يتحملون التشريد لأجل فكرة

سيطرت على أذهانهم! فأين المسلمون الذين يحملون هذا الدين؟ أين من يحمل هذا الهمَّ حقيقة وينشره بين الناس.

لا بد أن ننظر إلى من يبذل فعلاً ونقتدي ببذله؛ وعلينا أن نتفكر في أمر هذا الدين وننظر إلى المخلصين من الدعاة إلى من بذلوا، ونقتدي بهم.

الشبهة الثالثة: يرددها بعض الناس، فيقول: أنا لا أصلح لدعوة الآخرين؛ لأن فيَّ عيوبًا، أو لأن شخصيتي غير مؤثرة في الناس، وهذه قناعة عند بعض الناس دون تجربة، وقد تكون ناتجة عن ضعف في نفسه... ضعف في ثقته بنفسه؛ فلماذا لا يجرب الإنسان نفسه أولاً تجربة عملية واقعية يمكن أن يعتمد عليها في التقييم؛ ثم هناك نقطة أخرى: من منا ليس فيه عيوب؟... هذا المدخل الشيطاني يدخل على الإنسان الذي وضع في ذهنه صورة معينة للدعاة: داعية: معناه كذا وكذا... إنسان

كامل. هذا هو التصور الذي عنده، فيقول: أنا لا يمكن أن أكون بمثل هذه الصورة. كل الناس فيهم عيوب، ولذا: لا بد أن يكون الإنسان واقعيًّا ولا يضرب في متاهات المثالية.

هذا نموذج من التفكير المثالي الذي لا يؤسس على أسس شرعية، وهذا النموذج من التفكير معروف أيضاً في الطب النفسي ، إن الإنسان يضع أمامه مثاليات، فإذا لم يصل إليها أصيب بالإحباط .

وذلك مثل الذي يقول: لا يمكن أن أكون سعيداً إلا أن يرضى عني كل الناس الذين أعرفهم! هذا أمر غير واقعي؛ لأنه لا يمكن أن يرضى عنك كل الناس. وهناك إنسان يقول: لا يمكن أن أدعو لهذا الدين حتى أكون كاملاً ليس فِيَّ عيب واحد! وهذا غير واقعي أيضاً... فإذا كان منك عيوب فسارع إلى إصلاحها، ولكن لا تتوقف عن نقل الدعوة للآخرين.

ثم هناك نقطة أخرى: إن الدعوة تأخذ صوراً شتى؛ ولو فرضنا مثلاً أن شخصيتك غير مؤثرة فإن هناك أساليب للدعوة لا تتوقف على الشخصية، فليس كل إنسان يستطيع أن يوجه ويربي ويعلم قد تكون لديك القدرة أن تدل الناس على مكان الدعوة... تدل الناس على هذه الحلقات؛ فمن الممكن أن يشتري الإنسان كتباً ويهديها إلى الناس؛ وقد لا تكون لديك القدرة على نقل المعلومة أو شرحها ولكن يمكنك أن تدل على الكتاب الذي يتضمنها، وتكون بذلك قد دعوت غيرك؛ فهناك أساليب وصور مختلفة للدعوة تستطيع أن تدعو بأي صورة من الصور وبما يناسب .

ليس من المهم أن يتصدر المرء المجالس أو يكون متحدثاً لبقاً أو صاحب بيان وفصاحة، إن إناساً كثيرين ماتوا في المعارك ولم يسمع بهم أحد، لم نعرف أسماءهم ولم ترد إلينا تفاصيل سيرتهم،

ولكنهم كانوا يؤدون أعمالاً عظيمة وسوف يثابون عليها، كما جاء في الحديث: «طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه أشعثَ أغبرَ إن كان في الساقة كان في الساقة - أي مؤخرة الجيش - وإن كان في الحراسة كان في الحراسة» ويمكن يكون المرء حارساً آخر الليل مجرد حارس ليس له قيمة كما نتخيل؛ مع أنه يقوم بعمل مهم؛ لكن قيمته المعنوية عند الناس في الحياة الدنيا ليست كبيرة وذلك يختلف عن الذي في المقدمة الذي هو رافع اللواء وقائد الجيش ذلك الرجل المتواضع الذي لا يؤبه له يصفه الرسول بأنه: إذا استأذن لم يؤذن له، وإذا شفع لم يشفَّع؛ هذا الرجل المغمور لو أراد أن يستأذن من قائد المعركة لم يأذن له؛ لأنه رجل مغمور، وليس هو الشخصية البارزة.

فالمطلوب منا أن نكون أناساً نسعى لنشر هذا الدين ولو لم نكن في الصدارة، بل قد تكون الصدارة مضرة، وقد تؤثر على النية في بعض

الأحيان، قد تؤثر على النفس وتصيبها بالغرور، وقد تؤثر على كل شيء في الإنسان؛ فلا تظن أن الصدارة شرف في كل الأحوال، وإنما هي تكليف عظيم جداً صعب على الإنسان أن يتحمله!

والشبهة الرابعة: وهذه نتيجة الخور والجبن وضعف النفس ، حين يهرب المرء من الدعوة؛ لأنه يظن أن الدعوة ستجر عليه المشاكل وتسبب له ما لا يمكن أن يتحمله من سجن وتشريد وغيره. إن سنة الله أن يبتلى المرء ، وقد يكون الابتلاء بسبب الدعوة إلى الله أو بسبب أمور شخصية أو كوارث طبيعية، وإن الصبر هو الواجب على كل حال، يقول سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ..** ﴾ [**الأحزاب**: ٣٩]، هذا لا يعني التهور إنما يعني الجرأة في الحق، وأن يستمر المسلم في طريقه.

وأسوق في هذا المقام قصة شاب إنجليزي التقيت به في (جلفرد) في جنوب لندن، هذا الشاب أسلم

ووجد وظيفة أخرى في بلد آخر فذهب للمقابلة الشخصية، وقبل ذهابه ود الشباب في الجمعية الإسلامية مقابلته ليقولوا له: لا تخبرهم بأنك أسلمت حتى لا تُضارَّ؛ ولم يكن قد مضى على إسلامه ثلاثة أسابيع، فلم يتمكنوا من مقابلته لأنه كان قد سافر. وكان هناك عدة أشخاص قد تقدموا إلى الوظيفة نفسها، فلما ذهب للمقابلة الشخصية التي تخص تلك الوظيفة قال لهم: أنا أسلمت وغيَّرت اسمي، وكان اسمي (رود) واسمي الآن: (عمر) وأريد وقتًا للصلاة إذا كنتم ستقبلونني في هذه الوظيفة، فما كان منهم إلا أن قَبِلوه من بين المتقدمين جميعاً. قبلوه وكان السبب أعجب؛ قالوا: نحن نريد إنسانًا عنده قدرة على اتخاذ القرارات في هذه الوظيفة وأنت عندك قدرة عظيمة على اتخاذ القرارات فقد غيَّرت دينك، وغيَّرت نفسك. فكان سبب قبوله أنه اعتز بهذا الدين، وقال: أنا أسلمت.

تُرى لو أنه أخفى إسلامه فهل كانوا سيقبلونه؟ ولكن نقول: إن اعتزازه بدينه؛ كان سبباً في خيرٍ له.

وبعض المسلمين يخشى أن يدعو بين المسلمين، ولقد قابلت أمثلة عجيبة جداً، الواحد منهم يأبى أن يتكلم باللغة العربية حتى لا يُعرف أنه مسلم أو عربي... على الرغم من وضوح ذلك عليه.

وهناك مثال آخر التقيت به قبل أشهر في عيادة طبيب: رجل له سمت العرب، وملامحه تدل على أنه عربي، كلَّمته بالعربية، فردَّ عليَّ بالإنجليزية. حاولت أن أسأله عن بلده، لم يرد، لماذا يصل المرء منا إلى هذه الدرجة من الانهزامية؟!

الشبهة الخامسة:

من الناس من يتعلل بالآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [**المائدة**: ١٠٥] فعليك نفسك ودع الدعوة والإصلاح ولقد

لاحظ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أن أناسًا يفهمون هذه الآية خطأ، فقام فيهم خطيبًا، فقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [**المائدة**: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه». هذا الحديث رواه الترمذي والنسائي وأبو داود بأسانيد صحيحة.

فإذن: هذا الفهم خاطئ؛ فلا يأت إنسان، ويقول: ما لي والناس؟ نفسي نفسي! أو يقول: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [**المدثر**: ٣٨] كل ذلك من مداخل الشيطان التي يدخل بها على أناس فيصرفهم عن الدعوة إلى الله.

إحذر أخي الداعية:

أولاً: أحذركم ونفسي من الشوائب التي تشوب النية من رياء وسمعة؛ فلا بد من الإخلاص؛

فصحة العمل وأن يكون على منهاج الله وسنة الرسول ﷺ. ولا بد أيضاً من خلوص النية لله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا الأمر هو من أصعب الأمور على النفس هو أن تخلص النية، ولا يمكن لأحد أن يقطع أن نيته خالصة كاملة؛ فهو يحتاج أن يراجع النفس دائماً؛ وللشيطان مداخل عليه سواء قبل أن يعمل أو أثناء العمل أو بعده؛ ولذلك لا بد أن نتربى جميعاً على أن الهدف هو رضا الله والجنة، وأن نحمل هذا الدين وليس المغنم الدنيوي سواء كان مغنماً مادياً أو اجتماعياً أو مكانة عند الناس.

وهناك أدلة كثيرة جداً توضح ذنب أولئك الذين يعملون بعض الأعمال وهمهم أن يقال عنهم ما يرضيهم، أو يمدحوا؛ فقارئ القرآن حتى يقال قارئ، والمجاهد حتى يقال شجاع، والكريم المتصدق حتى يقال جواد كريم! كل هؤلاء أول من تُسَعَّر بهم النار؛ فالإنسان لا بد أن يستحضر النية الطيبة؛ إذ لا يكفي

صحة العمل ولكن لا بد من صحة النية؛ وقد كان الرسول ﷺ يربي أصحابه على أن يكون الهدف هو رضا الله والجنة؛ فيمر على بطحاء مكة وآل ياسر يعذبون فيقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» وذلك مصداق قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [**التوبة**: ١١١] وكانت التربية على الوعد بالجنة لا الوعد بالتمكين والنصر؛ فما كان ذلك التمكين والنصر إلا في العهد المدني بعد أن تربوا.

ثانياً: لابد من البعد عن التعصب لقوم أو لوطن أو جماعة؛ فالأصل هو اتباع الحق بدليله، ولا يكون المرء مقلداً لأناس معينين دون اتباع الحق؛ وذلك وضع جاهلي عبر عنه شاعرهم فقال:

وما أنا إلا من غزية إن غوت

غويت وإن ترشد غزية أرشدِ

هذا الرجل يقول: أنا من قبيلة إن غوت، أي ضلت فأنا أضل معها، وإن رشدت واهتدت فأنا معها. هذا فهم جاهلي وليس إسلامياً؛ فالفهم الإسلامي أن نلتزم بهذا الحق الصحيح بغضِّ النظر عمن يحمله؛ وإنما نناصر من يحمله، ونعادي من لا يحمله أو يعاديه.

ثالثاً: احذر نفسي وإياكم من النعرات القومية والإقليمية في الدعوة إلى الله؛ هذه النقاط الحمر التي وضعها الاستعمار على خارطة العالم الإسلامي ينبغي أن لا تؤصل؛ ومن باب أوْلى فإن على الدعاة أن لا يؤصلوها؛ فالدعوة الإسلامية عالمية لكل الأقوام من عرب وعجم، من بيض وسود، وبعض الناس يفهمها فهماً نظرياً؛ ولكن عندما نأتي إلى التطبيق فإننا نجده يختلف عن الفهم النظري؛ فلنراجع أنفسنا في هذه النقطة ولْننتبه لها.

وأما النقطة الرابعة: فهو أن نبتعد عن الغرور

والكِبر؛ فالذي يسير في هذه الدعوة قد تكون له صدارة، وقد تكون له وجاهة، وقد يُدخل عليه منها؛ فيتكبر ويغتر بنفسه؛ فينظر إلى نفسه أنه أفضل من الآخرين.

والكبر كما عرَّفه رسول الله ﷺ: «بطر الحق وغمط الناس» فالمتكبر هو الذي يُعرض عن الحق إذا جاءه، ويحتقر الناس فينظر إليهم احتقاراً! هذا تكبُّر. ولكن المفروض أن ننظر إلى الناس نظرة إشفاق لا نظرة احتقار، ولهذا الأمر علاج، وهو تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعلينا أيضاً: أن نراجع النفس ونحاسبها دائماً، وأن لا ننشغل بأخطاء الآخرين عن عيوبنا. وعلى الإنسان أن ينشغل بعيوبه قبل أخطاء الآخرين؛ فلا يكون دائماً سباقًا في أن يقول: فلان يقول كذا، أو أولئك يعملون كذا؛ فلا ينظر إلى عيوبه ولا يصححها، ولا يروض النفس على تفهم أخطاء الآخرين، بل عليه أن يروِّض النفس على أن

الإنسان خَطَّاء، ويرجع إلى الحق إذا تبين، ثم يتذكر أن صحة العمل وحدها لا تكفي ولا بد من خلوص النية.

وآخر ما أريد أن أحذر نفسي وإياكم منه: النفسية المتشائمة[1] التي تنظر إلى الواقع أو المستقبل نظرة تشاؤم سوداء؛ وهذه توجد عند بعض الناس، وتنبع من أسبابٍ كثيرة؛ فبعض الناس يُخفق في دعوة إنسان فيعمم القضية، فيستبعد قبول الناس الحق... يستبعد هذا الأمر لأنه مر بتجربة معينة ولكنه يعممها. انظروا إلى قول بعض المسلمين في العهد المكي ممن كانوا يستبعدون إسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما تحدث بعضهم فقال: لعل عمر بن الخطاب يسلم. كان عمر شديداً على المسلمين؛ فإذا مشى في طريق تحاشاه المسلمون وابتعدوا؛ لأنه يضربهم ويزعجهم، فلما قال أحد

(١) هذه النقطة الخامسة.

الصحابة: لعل عمر بن الخطاب يسلم، رد عليه الآخر فقال: والله لا يُسلِمَ عمر بن الخطاب حتى يُسلِمِ حمار آل الخَطاب.

ولكن عمر بن الخطاب أسلم، وصار قائداً، وحسن إسلامه، حتى كان الخليفة الثاني للمسلمين.

ما أظنكم ستجدون إنسانًا الآن يؤذي المسلمين، ثم يُقال: والله هذا سيسلم. الآن الناس يجدون إنسانًا ضالاً أو فاسداً ويعمل أخطاء ومنكرات فيقولون: هذا لا يمكن أن يسلم إنه ضال! فلينظر كيف كان عمر بن الخطاب يزعج المسلمين ويغضبهم ثم يكون بعد ذلك من أفضل المسلمين! هذه النقطة لا بد أن نبتعد عنها فقد تكون بسبب إخفاق بعض الدعاة... يخطئون فيعممون القضية وينظر بعضهم إلى بعض بمنظار السوء دون أن يرجعوا إلى أخطائهم ويقوِّموها.

لا بد للداعية إذا أخطأ أن يراجع نفسه دائمًا ،

وإذا أخفق في قضية، فعليه أن يراجع نفسه دائمًا حتى يصحح وضعه.

سادساً: وآخر ما يحذر منه الداعية: الفهم المغلوط لنصوص آخر الزمان؛ فإن بعض الناس قد يقف عند: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا» ولا ينظرون إلى صفة الذين سيعود بهم الإسلام وهم «الذين يصلحون ما أفسد الناس» إنهم ييأسون من الإصلاح بل يخذلون من أراد الإصلاح! بحجة أن هذا الزمن هو زمن الفتنة ولا حيلة في الإصلاح، ومن أدراك أن الزمن الذي يتحدث عنه الحديث هو الزمن الذي نعيشه؟ ثم إن النص فيه حرصٌ على الإصلاح ومدحٌ للمصلحين، ولقد مر بالمسلمين عهد دخل الروافض إلى الحرم المكي وقتلوا آلاف المسلمين في يوم واحد، قتلوهم مثل النعاج بالآلاف وهم في أيام الحج، وحملوا معهم الحجر الأسود وهم قائلون: أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ وأخذوا

الحجر الأسود ووضعوه في شرق الجزيرة لأكثر من ست عشرة سنة؛ إنهم القرامطة الذين يقول شاعرهم:

أنـــا بالله وبالله أنـــــا   أخلق الخلق وأفنيهم أنا

يدخلون الحرم، ويقتلون المسلمين ويأخذون الحجر الأسود، وينقلونه أكثر من ستة عشر عاماً عن بيت الله. أين نحن من هذا الذي حدث؟ ولقد احتل الصليبيون بيت المقدس سنوات طويلة، ومضت قرون والقدس بأيدي الصليبيين حتى أتى صلاح الدين فحررها.

ومن قبل جاء رسول الله ﷺ على فترة من الرسل.

بل إن الأيام تأتي بخير؛ فلينظر كل منا إلى تقارير الغربيين ولقد اطلعت على أحد تقاريرهم في بريطانيا حيث يوازنون وضع الطلبة المسلمين بما كانوا

عليه قبل عشرين سنة، فيقولون: الآن نرى الشباب المسلم يصلي في الكلية، ويعتز بأنه يصلي ولا يتأثر بأن الناس يرونه؛ بينما لم نكن نرى هذه الظاهرة قبل عشرين عامًا. هم يدركون أن هناك واقعًا آخر مختلفًا في رجعة المسلمين إلى دينهم.

وانظروا إلى المجلات والجرائد وغيرها من الأخبار التي تتكلم عن التطرف وغيره، فذلك كله يدل على أن هناك شيئًا، وأن هناك اتجاهًا إسلاميًا إنه تيار إسلامي كبير جداً يحتاج من العلماء المسلمين التوجيه والإرشاد؛ فنحن الآن في رجعة، ونحن الآن في قوة وتقدم ولسنا في تآمر.

وأسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلني وإياكم ممن يدعون إلى هذا الدين، وأن ينفعنا بما نسمع. وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهـرس